سورة الحديد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة السورة

عن العرباض بن سارية أن النبي ﷺ كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد ويقول: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية» يعني بالمسبحات « الحديد » و« الحشر» و« الصف» و« الجمعة» و« التغابن»(١)

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي مجد الله ونزهه عن السوء. وقال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ما فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ممن خلق من الملائكة ﴿ وَالأَرْضِ ﴾ من شيء فيه رُوحٌ أو لا رُوح فيه. وقيل: هو تسبيح الدلالة. وأنكر الزجاج هذا وقال: لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور آثار الصنعة لكانت مفهومة، فلم قال: ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤] وإنما هو تسبيح مقال. واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] فلو كان هذا تسبيح دلالة فأي تخصيص لداود ؟!

قلت: وما ذكره هو الصحيح، وقد مضى بيانه والقول فيه في « الإسراء» عند قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي انفرد بذلك. والمُلك عبارة عن الملك ونفوذ الأمر فهو سبحانه الملك القادر القاهر. وقيل: أراد خزائن المطر والنبات وسائر الرزق. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ يميت الأحياء في الدنيا ويحيي الأموات للبعث. وقيل: يحيي النطف وهي موات يميت الأحياء. وموضع ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ رفع على معنى وهو يحيي ويميت. ويجوز أن يكون نصبا بمعنى ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ محييا ومميتا على الحال من المجرور في ﴿لَهُ﴾ والجار عاملا فيها. ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي هو الله لا يعجزه شيء.

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ اختلف في معاني هذه الأسماء وقد بيناها في الكتاب «الأسنى». وقد شرحها رسول الله ﷺ شرحا يغني عن قول كل قائل، فقال في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء،

(١) ضعيف: أبو داود (٥٠٥٧) في الأدب، والترمذي في فضائل القرآن (٢٩٢١)، وفي الدعوات (٣٤٠٦)، والنسائي في الكبرى (٨٠٢٦). وانظر: ضعيف الترغيب والترهيب (٣٤٤).

وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّيْنَ واغننا من الفقر»[١] عنى بالظاهر الغالب، وبالباطن العالم، والله أعلم. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ بما كان أو يكون فلا يخفى عليه شيء.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ تقدم في « الأعراف» مستوفى[٢]. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ أي يدخل فيها من مطر وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ من نبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ من رزق ومطر وملك ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يعني بقدرته وسلطانه وعلمه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يبصر أعمالكم ويراها ولا يخفى عليه شيء منها. وقد جمع في هذه الآية بين ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وبين ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ والآخذ بالظاهرين تناقض فدل على أنه لا بد من التأويل، والإعراض عن التأمل اعتراف بالتناقض. وقد قال الإمام أبو المعالي: إن محمدا ﷺ ليلة الإسراء لم يكن بأقرب إلى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت. وقد تقدم.

قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ هذا التكرير للتأكيد أي هو المعبود على الحقيقة ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ أي أمور الخلائق في الآخرة. وقرأ الحسن والأعرج ويعقوب وابن عامر وأبو حيوة وابن محيصن وحميد والأعمش وحمزة والكسائي وخلف « تَرْجِعُ » بفتح التاء وكسر الجيم[٣]. الباقون ﴿تُرْجَعُ ﴾. قوله تعالى: ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ تقدم في« آل عمران»[٤]. ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي لا تخفى عليه الضمائر، ومن كان بهذه الصفة فلا يجوز أن يعبد من سواه.

﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي صدقوا أن الله واحد وأن محمدا رسوله ﴿وَأَنفِقُوا ﴾

(١) صحيح: مسلم (٢٧١٣) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.
(٢) عند الآية (٥٤).
(٣) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ٩٠).
(٤) عند الآية (٢٧).

تصدقوا. وقيل: أنفقوا في سبيل الله. وقيل: المراد الزكاة المفروضة. وقيل: المراد غيرها من وجوه الطاعات وما يقرب منه ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ دليل على أن أصل الملك لله سبحانه، وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله فيثبته على ذلك بالجنة. فمن أنفق منها في حقوق الله وهان عليه الإنفاق منها، كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه، كان له الثواب الجزيل والأجر العظيم. وقال الحسن: ﴿مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ بوراثتكم إياه عمن كان قبلكم [١]. وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فاغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق قبل أن تزال عنكم إلى من بعدكم. ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ وعملوا الصالحات في سبيل الله ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ استفهام يراد به التوبيخ، أيُّ: أي عذر لكم في ألا تؤمنوا وقد أزيحت العلل؟ ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ بين بهذا أنه لا حكم قبل ورود الشرائع. قرأ أبو عمرو «وقَد أُخذَ ميثاقكم» على غير مسمى الفاعل [٢]. والباقون على مسمى الفاعل، أي أخذ الله ميثاقكم. قال مجاهد: هو الميثاق الأول الذي كان وهم في ظهر آدم بأن الله ربكم لا إله لكم سواه. وقيل: أخذ ميثاقكم بأن ركب فيكم العقول، وأقام عليكم الدلائل والحجج التي تدعو إلى متابعة الرسول ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي إذا كنتم. وقيل: أي إن كنتم مؤمنين بالحجج والدلائل. وقيل: أي إن كنتم مؤمنين بحق يوما من الأيام، فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والأعلام ببعثة محمد ﷺ فقد صحت براهينه. وقيل: إن كنتم مؤمنين بالله خالقكم. وكانوا يعترفون بهذا. وقيل: هو خطاب لقوم آمنوا وأخذ النبي ﷺ ميثاقهم فارتدوا. وقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم تقرون بشرائط الإيمان.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يريد القرآن. وقيل: المعجزات، أي لزمكم الإيمان بمحمد ﷺ، لما معه من المعجزات، والقرآن أكبرها وأعظمها. ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾ أي بالقرآن. وقيل: بالرسول. وقيل: بالدعوة. ﴿مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ وهو الشرك والكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ وهو الإيمان. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: أيُّ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله، وفيما يقربكم من ربكم وأنتم تموتون وتخلفون أموالكم وهي صائرة إلى الله تعالى، فمعنى الكلام التوبيخ على عدم الإنفاق. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي إنهما راجعتان إليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق له.

(١) ذكره الشوكاني (٧/ ١٤٥) في فتح القدير، عن الحسن بلا إسناد.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٩).

الثانية : قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بالفتح فتح مكة. وقال الشعبي والزهري: فتح الحديبية [١]. قال قتادة: كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر، ونفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك [٢]. وفي الكلام حذف، أي: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل، فحذف لدلالة الكلام عليه. وإنما كانت النفقة قبل الفتح أعظم، لأن حاجة الناس كانت أكثر لضعف الإسلام، وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ أشق والأجر على قدر النَّصَب. والله أعلم.

الثالثة : روى اشهب عن مالك قال: ينبغي أن يقدم أهل الفضل والعزم، وقد قال الله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ وقال الكلبي: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، ففيها دليل واضح على تفضيل أبي بكر رضي الله عنه وتقديمه، لأنه أول من أسلم [٣]. وعن ابن مسعود: أول من أظهر الإسلام بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر، ولأنه أول من أنفق على نبي الله ﷺ. وعن ابن عمر قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال: يا نبي الله! ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال؟ فقال: «قد أنفق علي ماله قبل الفتح» قال: فإن الله يقول لك: اقرأ على أبي بكر السلام وقل له: أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول ﷺ: «يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط»؟ فقال أبو بكر: أأسخط على ربي؟ إني عن ربي لراضٍ! إني عن ربي لراضٍ! إني عن ربي لراضٍ! قال: «فإن الله يقول لك: قد رضيت عنك كما أنت عني راضٍ» فبكى أبو بكر فقال جبريل عليه السلام: والذي بعثك يا محمد بالحق، لقد تخللت حملة العرش بالعُبيِّ منذ تخلل صاحبك هذا بالعباءة، ولهذا قدمته الصحابة عل أنفسهم، وأقروا له بالتقدم والسبق [٤]. وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: سبق النبي ﷺ وصلى أبو بكر وثَلَّثَ عمر، فلا أوتى برجل فضلني على أبي بكر إلا جلدته حد المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة [٥]. فنال المتقدمون من المشقة أكثر مما نال من بعدهم، وكانت بصائرهم أيضا أنفذ.

الرابعة : التقدم والتأخر قد يكون في أحكام الدنيا، فأما في أحكام الدِّين، فقد قالت عائشة

---

(١) هذا مرسل هو غريب : وهو صحيح إلى الشعبي كما عند الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٢٨، ٢٢٩) ، وانظر: فتح القدير (٧/ ٢٤٥) للشوكاني .

(٢) صحيح إلى قتادة : الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٢٩) .

(٣) ضعيف جدًا بل واه : الواحدى (ص٣٤٥) في أسباب النزول من طريق محمد بن فضيل ،عن الكلبي به ، ومحمد بن فضيل هذا ، قال عنه أبو حاتم (١/ ١٦٧) :« كثير الخطأ »،وهو شيعى ،والكلبي متهم بالكذب، وقد أرسله .

(٤) موضوع منكر : رواه أبو نعيم (٧/ ١١٥) في حلية الأولياء ، وذكره الواحدى في أسباب النزول (ص٣٤٥) ، واستنكره ابن حبان في المجروحين (٢/ ١٨٥) عن العلاء بن عمرو من طريق أبي إسحاق الفزارى .
وانظر: الميزان (٣/ ١٠٣) حيث ذكر أن العلاء متروك ، والحديث كذب.

(٥) صحيح : وقد سبق ،وانظر: الحاكم في المستدرك (٣/ ٧١) وصححه،ووافقه الذهبي .

رضي الله عنها: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم. وأعظم المنازل مرتبة الصلاة [١]. وقد قال ﷺ في مرضه: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» الحديث[٢] . وقال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله» [٣]، وقال: «وليؤمكما أكبركما» [٤] من حديث مالك بن الحويرث وقد تقدم. وفهم منه البخاري وغيره من العلماء أنه أراد كبر المنزلة، كما قال ﷺ: «الولاء للكبر» [٥] ولم يعن كبر السن. وقد قال مالك وغيره: إن للسن حقا [٦]. وراعاه الشافعي وأبو حنيفة وهو أحق بالمراعاة، لأنه إذا اجتمع العلماء والسن في خيرين قدم العلم، وأما أحكام الدنيا فهي مرتبة على أحكام الدِّين، فمن قُدم في الدِّين قدم في الدنيا. وفي الآثار: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، وعرف لعالمنا حقه»[٧]. ومن الحديث الثابت في الأفراد: «ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له عند سنه من يكرمه»[٨]. وأنشدوا:

يا عائباً للشيوخ من أشر ... داخله في الصبا ومن بذخ
اذكر إذا شئت أن تعيرهم ... جدك واذكر أباك يا بن أخ
واعلم بأن الشباب منسلخ ... عنك وما وزره بمنسلخ
من لا يعزّ الشيوخ لا بلغت ... يوماً به سنُّه إلى الشيخ[٩]

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات. وقرأ ابن عامر «وَكُلٌّ» بالرفع [١٠]، وكذلك هو بالرفع في مصاحف أهل الشام. الباقون ﴿وَكُلاًّ﴾ بالنصب على ما في مصاحفهم، فمن نصب فعلى إيقاع الفعل عليه أي وعد الله كلا الحسنى. ومن رفع فلأن المفعول إذا تقدم ضعف عمل الفعل، والهاء محذوفة من وعده.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ندب إلى الإنفاق في سبيل الله. وقد مضى في

(١) ضعيف: أبو داود (٤٨٤٢) في الأدب، وضعفه الألباني هناك.
(٢) متفق عليه: وقد سبق تخريجه في الصحيحين.
(٣) صحيح: وقد سبق، وانظر: سنن أبي داود (٥٨٢) في الصلاة.
(٤) متفق عليه: البخاري (٦٨٥) في الأذان، ومسلم (٢٩٢/ ٦٧٤) في المساجد ومواضع الصلاة.
(٥) موقوف: البيهقي (١٠/ ٣٠٣) عن عمر وعثمان موقوفًا.
(٦) أحكام القرآن (٤/ ١٧٤٢) للقاضي ابن العربي المالكي.
(٧) حسن: حسنه الألباني في صحيح الجامع(٥٤٤٣) وعزاه لأحمد في المسند، عن عبادة بن الصامت
(٨) ضعيف: الترمذي (٢٠٢٢) في البر والصلة، وضعفه الألباني هناك، عن أنس بن مالك.
(٩) أحكام القرآن (٤/ ١٧٤) للقاضي ابن العربي المالكي.
(١٠) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٩).

«البقرة» (١) القول فيه. والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا: قد أقرض، كما قال:

وإذا جُوزيتَ قَرْضاً فَاجْزِه إنَّمَا يَجْزِي الفتى ليس الْجَمَل

وسمي قرضا، لأن القرض أخرج لاسترداد البدل. أي من ذا الذي ينفق في سبيل الله حتى يبدله الله بالأضعاف الكثيرة. قال الكلبي: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي صدقة ﴿ حَسَنًا﴾ أي محتسبا من قلبه بلا مَنٍّ ولا أذى. ﴿ فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ ما بين السبع إلى سبعمائة إلى ما شاء الله من الأضعاف. وقيل: القرض الحسن هو أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله ،والله أكبر، رواه سفيان عن أبي حيان (٢). وقال زيد بن أسلم: هو النفقة على الأهل (٣). الحسن: التطوع بالعبادات (٤). وقيل: إنه عمل الخير، والعرب تقول: لي عند فلان قرض صدق وقرض سوء. القشيري: والقرض الحسن أن يكون المتصدق صادق النية طيب النفس، يبتغي به وجه الله دون الرياء والسمعة، وأن يكون من الحلال. ومن القرض الحسن: ألا يقصد إلى الرديء فيخرجه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وأن يتصدق في حال يأمل الحياة، فإن النبي ﷺ سئل عن أفضل الصدقة فقال: «أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى إذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا» (٥)، وأن يخفي صدقته، لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] وألا يمن، لقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وأن يستحقر كثير ما يعطي، لأن الدنيا كلها قليلة، وأن يكون من أحب أموال، لقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] ،وأن يكون كثيرا، لقوله ﷺ: «أفضل الرقاب أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها » (٦). ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر «فَيُضَعِّفَه» بإسقاط (٧) الألف إلا ابن عامر ويعقوب نصبوا الفاء. وقرأ نافع وأهل الكوفة والبصرة ﴿ فَيُضَاعِفَهُ﴾ بالألف وتخفيف العين إلا أن عاصما نصب الفاء. ورفع الباقون(٨) عطفا على ﴿ يُقْرِضُ ﴾. وبالنصب جوابا على الاستفهام. وقد مضى في «البقرة»(٩) القول في هذا مستوفى. ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يعني الجنة.

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ العامل في﴿يَوْمَ ﴾ ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ،وفي الكلام حذف أي: ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ في ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ فيه﴿ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم ﴾ أي يمضى على الصراط في قول الحسن، وهو الضياء الذي يمرون فيه ﴿ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي قدامهم. ﴿وَبِأَيْمَانِهِم﴾ قال الفراء: الباء بمعنى « في»، أي في أيمانهم. أو بمعنى «عن» أي عن أيمانهم. وقال الضحاك: ﴿ نُورُهُم ﴾ هداهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِم ﴾ كتبهم(١٠)، واختاره الطبري (١١). أي يسعى

(١) عند الآية (٢٤٥) .
(٢ ـ ٤) فتح القدير (٧/ ١٤٧، ١٤٨) للشوكاني،وقد سبق تخريج هذا في سورة البقرة عند الآية (٢٤٥) .
(٥) متفق عليه : البخاري (١٤١٩) في الزكاة ،ومسلم (١٠٣٢) في الزكاة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٦) متفق عليه: البخاري في العتق (٢٥١٨)،ومسلم (٨٤/ ١٣٦، ١٣٦) مكرر في الإيمان ،عن أبي ذر ـ رضي الله عنه.
(٧، ٨) قراءتان متواترتان : تقريب النشر (ص٩٧).
(٩) عند الآيتين (٢٦٤) ، (٢٧١)
(١٠) كذا عند الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٣٠) .
(١١) السابق (٢٧/ ٢٣٠، ٢٣١)

إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم، وفي أيمانهم كتب أعمالهم. فالباء على هذا بمعنى «في». ويجوز على هذا أن يوقف على ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ولا يوقف إذا كانت بمعنى «عن». وقرأ سهل بن سعد الساعدي وأبو حيوة «وبإيمانهم» بكسر الألف(١)، أراد الإيمان الذي هو ضد الكفر وعطف ما ليس بظرف على الظرف، لأن معنى الظرف الحال وهو متعلق بمحذوف. والمعنى يسعى كائنا ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وكائنا ﴿بِأَيْمَانِهِم﴾، وليس قوله: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ متعلقا بنفس ﴿يَسْعَىٰ﴾. وقيل: أراد بالنور القرآن. وعن ابن مسعود: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورا من نوره على إبهام رجله فيطفأ مرة ويوقد أخرى. وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: « إن من المؤمنين من يضيء نوره كما بين المدينة وعدن أو ما بين المدينة وصنعاء ودون ذلك حتى يكون منهم من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه» (٢). قال الحسن: ليستضيؤوا به على الصراط كما تقدم (٣). وقال مقاتل: ليكون دليلا لهم إلى الجنة (٤). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ التقدير يقال لهم: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾ دخول جنات. ولا بد من تقدير حذف المضاف، لأن البشرى حَدَثٌ، والجنة عَيْنٌ فلا تكون هي هي. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحتهم أنهار اللبن والماء والخمر والعسل من تحت مساكنها. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال من الدخول المحذوف، التقدير: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾ دخول جنات ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَا﴾ مقدرين الخلود فيها ولا تكون الحال من بشراكم، لأن فيه فصلا بين الصلة والموصول. ويجوز أن يكون مما دل عليه البشرى، كأنه قال: تبشرون خالدين. ويجوز أن يكون الظرف الذي هو ﴿الْيَوْمَ﴾ خبرا عن ﴿بُشْرَاكُمُ﴾، و﴿جَنَّاتٌ﴾ بدلاً من البشرى على تقدير حذف المضاف كما تقدم. و﴿خَالِدِينَ﴾ حال حسب ما تقدم. وأجاز الفراء نصب ﴿جَنَّاتٌ﴾ على الحال على أن يكون ﴿الْيَوْمَ﴾ خبرا عن ﴿بُشْرَاكُمُ﴾ وهو بَعِيدٌ، إذ ليس في ﴿جَنَّاتٌ﴾ معنى الفعل. وأجاز أن يكون ﴿بُشْرَاكُمُ﴾ نصبا على معنى يبشرونهم بشرى وينصب ﴿جَنَّاتٌ﴾ بالبشرى وفيه تفرقة بين الصلة والموصول.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. وقيل: هو بدل من اليوم الأول. ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ﴾ قراءة العامة بوصل الألف مضمومة الظاء من نظر، والنظر الانتظار أي

(١) قراءة غير متواترة :كما عند أبي حيان في البحر المحيط (٨/ ٢٢١) .
(٢) الإسناد :الطبري (٢٧/ ٢٣٠) في تفسيره ، وعبد الرزاق في المصنف (٣٠٦٠) .
(٣ ، ٤)فتح القدير (٧/ ١٤٩) للشوكاني.

انتظرونا. وقرأ الأعمش وحمزة ويحيى بن وثاب: «أَنْظِرونا» بقطع الألف وكسر الظاء [١] من الإنظار. أي أمهلونا وأخرونا، أنظرته أخرته، واستنظرته أي استمهلته. وقال الفراء: تقول العرب: أنظرني انتظرني، وأنشد لعمرو بن كلثوم:

أبا هند فلا تَعْجلْ عَلَيْنَا ... وأَنْظِرنَا نُخَبِّرْكَ الْيقِينَا

أي انتظرنا. ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي نستضيء من نوركم. قال ابن عباس وأبو أمامة: يغشى الناس يوم القيامة ظلمة ـ قال الماوردي: أظنها بعد فصل القضاء[٢] ثم يعطون نورا يمشون فيه. قال المفسرون: يعطي الله المؤمنين نورا يوم القيامة على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم، دليله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]. وقيل: إنما يعطون النور، لأن جميعهم أهل دعوة دون الكافر، ثم يسلب المنافق نوره لنفاقه؛ قاله ابن عباس[٣]. وقال أبو أمامة: يعطى المؤمن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور [٤]. وقال الكلبي: بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور، فبينما هم يمشون إذ بعث الله فيهم ريحا وظلمة فأطفأ بذلك نور المنافقين، فذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨] يقوله المؤمنون، خشية أن يسلبوه كما سلبه المنافقون، فإذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع أقدامهم قالوا للمؤمنين: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ أي قالت لهم الملائكة ﴿ ارْجِعُوا ﴾ [٥]. وقيل: بل هو قول المؤمنين لهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ إلى الموضع الذي أخذنا منه النور فاطلبوا هنالك لأنفسكم نورا فإنكم لا تقتبسون من نورنا. فلما رجعوا وانعزلوا في طلب النور ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ وقيل: أي هلا طلبتم النور من الدنيا بأن تؤمنوا. ﴿ بِسُورٍ﴾ أي سور، والباء صلة. قال الكسائي. والسور حاجز بين الجنة والنار. وروي أن ذلك السور ببيت المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم. ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ يعني ما يلي منه المؤمنين ﴿ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ يعني ما يلي المنافقين. قال كعب الأحبار: هو الباب الذي ببيت المقدس المعروف بباب الرحمة [٦]. وقال عبد الله بن عمرو: إنه سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد ﴿ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ يعني جهنم. ونحوه عن ابن عباس[٧]. وقال زياد بن أبي سوادة: قام عبادة بن الصامت على سور بيت المقدس الشرقي فبكى، وقال: من ها هنا أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى جهنم [٨]. وقال قتادة: هو حائط بين الجنة والنار ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ يعني الجنة

---

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٩).

(٢) انظر: النكت والعيون للماوردي (٥/ ٤٧٤).

(٣) ضعيف إليه: من طريق العوفيين. الطبري (٢٧/ ٢٣٢) في تفسيره.

(٤) حسن: انظر: النكت والعيون (٥/ ٤٧٤) للماوردي، ورواه ابن كثير (٨/ ١٤) في نفسيره من طريق ابن أبي حاتم موقوفًا، وهو عند ابن المبارك في الزهد.

(٥) ضعيف جدًا: الطبري (٢٧/ ٢٣٢) في تفسيره، والبغوي (٨/ ٣٥) في تفسيره.

(٦) ضعيف جدًا: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٣٣)، وقال ابن كثير في تفسيره (٧/ ١٤): «إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة، الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وتُرهاته، وإنما المراد بذلك سور يكون يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين».

(٧) ضعيف المتن وهو صحيح الإسناد: الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠١) ووافقه الذهبي، ورواه الطبري (٢٧/ ٢٣٣) في تفسير.

قلت: ولعله من أخبار كعب أو من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك.

(٨) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٢٣٣).

﴿وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ يعني جهنم (١). وقال مجاهد: إنه حجاب كما في الأعراف وقد مضى القول فيه(٢). وقد قل: إن الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين، والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين.

قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدنيا يعني نصلي مثل ما تصلون، ونغزو مثل ما تغزون، ونفعل مثل، ما تفعلون ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي يقول المؤمنون ﴿بَلَىٰ﴾ قد كنتم معنا في الظاهر ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي استعملتموها في الفتنة. وقال مجاهد: أهلكتموها بالنفاق (٣). وقيل: بالمعاصي، قاله أبو سنان. وقيل: بالشهوات واللذات، رواه أبو نمير الهمداني. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي تربصتم بالنبي ﷺ الموت، وبالمؤمنين الدوائر. وقيل: ﴿تَرَبَّصْتُمْ﴾ بالتوبة ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي شككتم في التوحيد والنبوة ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ أي الأباطيل. وقيل: طول الأمل. وقيل: هو ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين ونزول الدوائر بهم. وقال قتادة: الأماني هنا خدع الشيطان (٤). وقيل: الدنيا؛ قاله عبد الله بن عباس (٥). وقال أبو سنان: هو قولهم: سيغفر لنا (٦). وقال بلال بن سعد: ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة (٧). ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني الموت. وقيل: نصرة نبيه ﷺ. وقال قتادة: إلقاؤهم في النار (٨). ﴿وَغَرَّكُم﴾ أي خدعكم ﴿بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ أي الشيطان؛ قاله عكرمة(٩). قيل: الدنيا، قاله الضحاك (١٠). وقال بعض العلماء: إن للباقي بالماضي معتبرا، وللآخر بالأول مزدجرا، والسعيد من لا يغتر بالطمع، ولا يركن إلى الخدع، ومن ذكر المنية نسي الأمنية، ومن أطال الأمل نسي العمل، وغفل عن الأجل. وجاء ﴿الْغَرُورُ﴾ على لفظ المبالغة للكثرة. وقرأ أبو حيوة ومحمد بن السميقع وسماك بن حرب: «الغُرورُ» بضم الغين يعني الأباطيل وهو مصدر. وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ خط لنا خطوطا، وخط منها خطا ناحية فقال: «أتدرون ما هذا ؟ هذا مثل ابن آدم ،ومثل التمني، وتلك الخطوط الآمال بينما هو يتمنى إذ جاءه الموت» (١١).

وعن ابن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا مربعا،وخط وسطه خطا وجعله خارجا منه، وخط عن يمينه ويساره خطوطا صغارا فقال: «هذا ابن آدم، وهذا أجله محيط به ،وهذا أمله قد جاوز أجله ، وهذه الخطوط الصغار الأعراض ،فإن أخطأه هذا نهشه هذا ،وإن أخطأه هذا نهشه هذا» (١٢).

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ﴾ أيها المنافقون: ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيأسهم من النجاة. وقراءة العامة ﴿يُؤْخَذُ﴾ بالياء، لأن التأنيث غير حقيقي، ولأنه قد فصل بينها وبين الفعل. وقرأ ابن عامر

---

(١) صحيح إليه : الطبري (٢٢/ ٢٣٢) في تفسيره .

(٢) صحيح : السابق (٢٢/ ٢٣٢) ،وانظر: الآية (٤٦) من سورة الأعراف .

(٣) صحيح إلى مجاهد : الطبري (٢٧/ ٢٣٣) في تفسيره .

(٤ ـ ١٠) انظرها في : فتح القدير (٧/ ١٥٣) للشوكاني، وتفسير الخازن (٦/ ٥٢) ،وذكرها الماوردي (٤/ ٢٣٥) في النكت والعيون.

(١١) صحيح : أحمد (١/ ٢٩٣) في المسند ،وصححه العلامة أحمد شاكر برقم(٢٦٦٨) .

(١٢) صحيح : البخاري (٦٤١٧) في الرقاق .

ويعقوب: «تُؤْخَذُ» بالتاء[١]، واختاره أبو حاتم لتأنيث الفدية. والأول اختيار أبي عبيد، أي لا يقبل منكم بدل ولا عوض ولا نفس أخرى. ﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ﴾ أي مقامكم ومنزلكم ﴿ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ أي أولى بكم، والمولى من يتولى مصالح الإنسان، ثم استعمل فيمن كان ملازما للشيء. وقيل: أي النار تملك أمرهم، بمعنى أن الله تبارك وتعالى يركب فيها الحياة والعقل فهي تتميز غيظا على الكفار، ولهذا خوطبت في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠]. ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ أي ساءت مرجعا ومصيرا.

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي يقرب ويحين، قال الشاعر:

أَلَمْ يَأْنِ لِي يَا قَلْبُ أَنْ أَتْرُكَ الْجَهْلاَ ... وأن يُحْدِثَ الشَّيْبُ المبينُ لنا عَقْلاَ

وماضيه أنى بالقصر يأنى. ويقال: آن لك - بالمد - أن تفعل كذا يئين أينًا أي حان، مثل أنى لك وهو مقلوب منه. وأنشد ابن السكيت:

أَلَمَّا يِئِنْ لِي أَنْ تَجَلَّى عَمَايَتِي ... وأَقْصُرُ عن لَيْلَى بَلَى قَدْ أَنَى لِيَا

فجمع بين اللغتين. وقرأ الحسن: « ألما يأن» وأصلها « ألم» زيدت «ما » فهي نفي لقول القائل: قد كان كذا، و«لم» نفي لقوله: كان كذا. وفي «صحيح مسلم » عن ابن مسعود قال: ما كنا بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ إلا أربع سنين[٢]. قال الخليل: العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة، تقول عاتبته معاتبة ﴿أَن تَخْشَعَ﴾ أي تذل وتلين ﴿قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ روي أن المزاح والضحك كثر في أصحاب النبي ﷺ لما ترفهوا بالمدينة، فنزلت الآية [٣]، ولما نزلت هذه الآية قال ﷺ: «إن الله يستبطئكم بالخشوع»[٤] فقالوا عند ذلك: خشعنا.

وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن [٥]. وقيل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة. وذلك أنهم سألوا سلمان أن يحدثهم بعجائب التوراة فنزلت: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١] إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣] الآية، فأخبرهم أن هذا القصص أحسن من غيره وأنفع لهم، فكفوا عن

---

(١) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص ١٧٩) .

(٢) صحيح : مسلم (٣٠٢٧) في التفسير .

(٣) ضعيف معضل : السيوطي في لباب النقول (ص ٣٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم .

(٤، ٥) وجدته في الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٢٥٤) موقوفًا على ابن عباس - رضي الله عنهما - ومعزوًا لابن مردويه، وابن أبي حاتم ، وهو ضعيف ففي طريقه صالح المرى، كما عند ابن كثير (٨/ ١٦) .

سلمان، ثم سـألوه مثل الأول فنزلت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (١) فعلى هذا التـأويل يكون الذين آمنوا في العلانية بـاللسان. قال السدي وغـيره: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالظاهر وأسـروا الكفر ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾. وقيل: نزلت في المـؤمنين. قال سعـد: قيل: يا رسول الله لو قـصصت علينا فنزل ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [يوسف: ٣] فقالوا بعـد زمان: لو حدثتنا فنزل ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] فقالوا بعد مدة: لو ذكرتنا فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ مَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٢)، ونحوه عن ابن مسعود قـال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربـع سنين، فجعل ينظر بعضنا إلى بعض ويقـول: ما أحدثنا (٣)؟ قال الحسن: استبطأهم وهم أحب خلقـه إليه. وقيل: هذا الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى دون محـمد عليهم السلام لأنه قال عـقيب هذا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ١٩] أي ألم يأن للذين آمنوا بالتـوراة والإنجيل أن تلين قلوبهم للقرآن، وألا يكونوا كمـتقدمي قوم موسى وعيسى، إذ طال عليـهم الأمد بينهم وبين نبيهم فقست قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ أي وألا يكونوا فهو منصوب عطفا على ﴿أَن تَخْشَعَ﴾. وقيل: مجزوم على النهي، مجازه ولا يكونن، ودليل هذا التأويل رواية رويس عن يعقوب «لا تكونوا» بالتاء، وهي قراءة عيسى وابن إسحاق (٤). يقول: لا تسلكوا سـبيل اليهود والنصارى، أعـطوا التوراة والإنجيل فطالت الأزمان بهم. قال ابن مسعود: إن بني إسرائيل لما طال عليـهم الأمد قست قلوبهم، فاخترعوا كتابا من عند أنفسهم استحلته أنفسهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثيـر من شهواتهم، حتى نبذوا كتاب اللـه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، ثم قـالوا: أعرضوا هذا الكتاب على بني إسـرائيل، فإن تابعوكم فاتركـوهم وإلا فاقتلوهم. ثم اصطلحوا على أن يرسلوه إلى عـالم من علمائهم، وقالوا: إن هو تابعنا لم يخالفنا أحد، وإن أبى قتلناه فلا يختلف علينا بعده أحد، فأرسلوا إليه، فكتب كتاب الله في ورقة وجعلها في قرن وعلـقه في عنقه ثم لبس عليه ثيابه، فأتاهم فعرضـوا عليه كتابهم، وقالوا: أتؤمن بهذا؟ فـضرب بيـده على صدره، وقـال: آمنت بهذا يعني المعلق على صـدره. فافتـرقت بنو إسرائيل على بضع وسـبعين ملة، وخير مللهم أصـحاب ذي القرن. قال عـبد الله: ومن يعش منكم فسـيرى منكرا، وبحسب أحـدكم إذا رأى المنكر لا يسـتطيع أن يغيـره أن يعلم الله من قلبـه أنه له كاره (٥). وقال مقاتل بن حيان: يعني مؤمني أهل الكتاب طال عليهم الأمد واستبطؤوا بعث النبي ﷺ ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ يعني الذين ابتدعوا الرهبانية أصحاب الصوامع (٦). وقيل: من لا يعلم ما يـتدين به من الفقـه ويخالف من يعلم. وقـيل: هم من لا يؤمن في علم الله تعـالى. ثبتت طائفة منهم على دين عيسى حتى بعث النبي ﷺ فآمنوا به، وطائفة منهم رجعوا عن دين عيسى وهم

(١) ضعيف جدًا: البغوي (٨/ ٣٧) في تفسيره من طريق مقاتل والكلبي، فجمعت الرواية بين ضعيف الإسناد، والإعضال.

(٢) صحيح: الحاكم (٢/ ٣٤٥) في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر: أسباب النزول للواحدى (ص٣٤٦).

(٣) صحيح: وقد سبق عند مسلم بدون الزيادة الأخيرة.

(٤) قراءة متواترة: تقريب النشر (١٧٩).

(٥) حسن: البيهقي في الشعب (٦/ ٩٥، ٩٦)، وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٨٨) في تفسيره، وفيه شهاب بن خراش، وفي رواته ضعف ووثق بعضهم.

(٦) مرسل بل معضل: ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٢٣٦).

الذين فسقهم الله.

وقال محمد بن كعب: كانت الصحابة بمكة مجدبين، فلما هاجروا أصابوا الريف والنعمة، ففتروا عما كانوا فيه، فقست قلوبهم، فوعظهم الله فأفاقوا. وذكر ابن المبارك: أخبرنا مالك بن أنس، قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال لقومه: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون. ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فيها - أو قال: في ذنوبكم - كأنكم عبيد، فإنما الناس رجلان: معافى، ومبتلى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية [1]. وهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما الله تعالى. ذكر أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان القلانسي قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق، قال: حدثنا علي بن يعقوب الزيات، قال: حدثنا إبراهيم بن هشام، قال: حدثنا زكريا بن أبي أبان، قال: حدثنا الليث بن الحارث قال: حدثنا الحسن بن داهر، قال: سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده قال: كنت يوما مع إخواني في بستان لنا، وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه، فأكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا، وكنت مولعا بضرب العود والطنبور، فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له: راشين السحر، وأراد سنان يغني، وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان - يعني العود الذي بيده - ويقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ قلت: بلى والله! وكسرت العود، وصرفت من كان عندي، فكان هذا أول زهدي وتشميري. وبلغنا عن الشعر الذي أراد ابن المبارك أن يضرب به العود:

أَلَمْ يَأْنِ لي منك أن تَرْحَمَا ... وتَعْصِ العَواذلَ واللُّوَّمَا
وتَرْثِي لصَبٍّ بكم مُغْرَمٍ ... أقام على هجركم مَأْتَمَا
يَبِيتُ إذا جَنَّهُ لَيْلُهُ ... يُراعِي الكَواكِبَ والأَنْجُمَا
وماذا على الظَّبي لَوْ أنَّهُ ... أحَلَّ من الوَصْلِ ما حَرَّمَا

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته: أنه عشق جارية فواعدته ليلا، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ فرجع القهقرى وهو يقول: بلى والله قد آن فآواه الليل إلى خربة وفيها جماعة من السابلة[2]، وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلا يقطع الطريق. فقال الفضيل: أواه! أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني! اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام.

قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي ﴿يُحْيِي الْأَرْضَ﴾ الجدبة ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالمطر. وقال صالح المري: المعنى يلين القلوب بعد قساوتها. وقال جعفر بن محمد: يحييها بالعدل بعد الجور. وقيل: المعنى فكذلك يحيي الكافر بالهدى إلى الإيمان بعد موته بالكفر والضلالة. وقيل:

(١) الخبر من الإسرائيليات: ابن المبارك في الزهد (١/ ١٣٧) برقم (١٢٤) ـ ط الدار السلفية بالإسكندرية، تحقيق: الشيخ أحمد فريد.

(٢) السابلة: أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم، والجمع: سوابل، اللسان «سبل».

كذلك يحيي الله الموتى من الأمم، ويميز بين الخاشع قلبه وبين القاسي قلبه. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي إحياء الله الأرض بعد موتها دليل على قدرة الله، وأنه لمحيي الموتى.

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف [١] الصاد فيهما من التصديق، أي المصدقين بما أنزل الله تعالى. الباقون بالتشديد أي المتصدقين والمتصدقات فأدغمت التاء في الصاد، وكذلك في مصحف أبي. وهو حث على الصدقات، ولهذا قال: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالصدقة والنفقة في سبيل الله. قال الحسن: كل ما في القرآن من القرض الحسن فهو التطوع. وقيل: هو العمل الصالح من الصدقة وغيرها محتسبا صادقا. وإنما عطف بالفعل على الاسم، لأن ذلك الاسم في تقدير الفعل، أي إن الذين تصدقوا وأقرضوا ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ أمثالها. وقراءة العامة بفتح العين على ما لم يسم فاعله. وقرأ الأعمش: «يُضَاعِفُه» بكسر العين وزيادة هاء. وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب «يُضَعَّف» بفتح العين وتشديدها [٢]. ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يعني الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ اختلف في «الشهداء» هل هو مقطوع مما قبل أو متصل به. فقال مجاهد وزيد بن أسلم: إن الشهداء والصديقين هم المؤمنون وأنه متصل، وروي معناه عن النبي ﷺ فلا يوقف على هذا على قوله: ﴿الصِّدِّيقُونَ﴾ وهذا قول ابن مسعود في تأويل الآية. قال القشيري قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] فالصديقون هم الذين يتلون الأنبياء، والشهداء هم الذين يتلون الصديقين، والصالحون يتلون الشهداء، فيجوز أن تكون هذه الآية في جملة من صدق بالرسل، أعني ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ﴾. ويكون المعنى بالشهداء من شهد لله بالوحدانية، فيكون صديق فوق صديق في الدرجات، كما قال النبي ﷺ: «إن أهل الجنات العلا ليراهم من دونهم كما يرى أحدكم الكوكب الذي في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما» [٣]، وروي عن ابن عباس ومسروق: أن الشهداء غير الصديقين [٤]. فالشهداء على هذا منفصل مما قبله والوقف على قوله: ﴿الصِّدِّيقُونَ﴾ حسن. والمعنى ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي لهم أجر أنفسهم ونور أنفسهم. وفيهم قولان: أحدهما: أنهم الرسل يشهدون على أممهم

(١، ٢) قراءتان متواترتان: تقريب النشر (ص١٧٩).

(٣) ضعيف: أبو داود (٣٩٨٧) في الحروف والقراءات، والترمذي في المناقب (٣٦٥٨)، وابن ماجه (٩٦) في المقدمة، وضعفه الألباني هناك.

(٤) قول ابن عباس ضعيف: روى من طريق العوفيين ورواه الطبري(٢٧/٢٣٨) في تفسيره، وروى قول مسروق هناك من طريق ابن حميد وهو متهم.

بالتصديق والتكذيب؛ قاله الكلبي، ودليله قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. الثاني: أنهم أمم الرسل يشهدون يوم القيامة، وفيما يشهدون به قولان: أحدهما: أنهم يشهدون على أنفسهم بما عملوا من طاعة ومعصية. وهذا معنى قول مجاهد(١). الثاني: يشهدون لأنبيائهم بتبليغهم الرسالة إلى أممهم؛ قاله الكلبي (٢). وقال مقاتل قولا ثالثا: إنهم القتلى في سبيل الله تعالى(٣). ونحوه عن ابن عباس أيضا قال: أراد شهداء المؤمنين. والواو واو الابتداء. والصديقون على هذا القول مقطوع من الشهداء.

وقد اختلف في تعيينهم، فقال الضحاك(٤): هم ثمانية نفر: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة. وتابعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، ألحقه الله بهم لما صدق نبيه ﷺ. وقال مقاتل بن حيان: الصديقون هم الذين آمنوا بالرسل ولم يكذبوهم طرفة عين، مثل مؤمن آل فرعون، وصاحب آل ياسين، وأبي بكر الصديق، وأصحاب الأخدود(٥).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي بالرسل والمعجزات: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ فلا أجر لهم ولا نور.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وجه الاتصال: أن الإنسان قد يترك الجهاد خوفا على نفسه من القتل، وخوفا من لزوم الموت، فبين أن الحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي أن يترك أمر الله محافظة على ما لا يبقى. و«ما» صلة تقديره: اعلموا أن الحياة الدنيا لَعِبٌ باطلٍ ولَهْوٌ فرحٍ ثم ينقضي. وقال قتادة: لعب ولهو: أكل وشرب. وقيل: إنه على المعهود من اسمه، قال مجاهد: كل لعب لهو. وقد مضى هذا المعنى في «الأنعام»(٦). وقيل: اللعب: ما رَغَّب في الدنيا، واللهو ما ألهى عن الآخرة، أي شغل عنها. وقيل: اللعب الاقتناء، واللهو النساء. ﴿وَزِينَةٌ﴾ الزينة ما يتزين به، فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للآخرة، وكذلك من تزين في غير طاعة الله. ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ أي يفخر بعضكم على بعض بها. وقيل: بالخلقة والقوة. وقيل: بالأنساب على عادة العرب في المفاخرة

---

(١) صحيح: في إحدى روايات الطبري (٢٧/ ٢٣٩) من طريق ورقاء، عن ابن أبي نجيح عنه

(٢، ٣) الماوردي في تفسيره (٥/ ٤٧٩)، والبغوي (٨/ ٣٩) في تفسيره.

(٤، ٥) ضعيفان: وقد سبقا.

(٦) عند الآية (٣٢)، وانظر: النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٣٨).

بالآباء. وفي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ قال: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» (١)، وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: « أربع في أمتي من أمر الجاهلية: الفخر في الأحساب» الحديث (٢). وقد تقدم جميع هذا. ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ﴾ لأن عادة الجاهلية: أن تتكاثر بالأبناء والأموال، وتكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعة. قال بعض المتأخرين: ﴿لَعِبٌ﴾ كلعب الصبيان ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الفتيان ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النسوان ﴿ وَتَفَاخُرٌ﴾ كتفاخر الأقران ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ كتكاثر الدهقان (٣). وقيل: المعنى أن الدنيا كهذه الأشياء في الزوال والفناء. وعن علي رضي الله عنه قال لعمار: لا تحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء: مأكول، ومشروب، وملبوس، ومشموم ،ومركوب ،ومنكوح، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء يستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة، وأفضل المشموم المسك وهو دم فأرة، وأفضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال، وأما المنكوح فالنساء وهو مبال في مبال، والله إن المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها. ثم ضرب الله تعالى لها مثلا بالزرع في غيث فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ أي مطر ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ الكفار هنا: الزراع لأنهم يغطون البذر. والمعنى أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار، ثم لا يلبث أن يصير هشيما كأن لم يكن، وإذا أعجب الزراع فهو غاية ما يستحسن. وقد مضى معنى هذا المثل في «يونس» (٤) و« الكهف» (٥). وقيل: الكفار هنا الكافرون بالله عز وجل، لأنهم أشد إعجابا بزينة الدنيا من المؤمنين. وهذا قول حسن، فإن أصل الإعجاب لهم وفيهم، ومنهم يظهر ذلك، وهو التعظيم للدنيا وما فيها. وفي الموحدين من ذلك فروع تحدث من شهواتهم، وتتقلل عندهم وتدق إذا ذكروا الآخرة. وموضع الكاف رفع على الصفة. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي يجف بعد خضرته ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ أي متغيرا عما كان عليه من النضرة. ﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ أي فتاتا وتبنا فيذهب بعد حسنه، كذلك دنيا الكافر. ﴿ وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي للكافرين. والوقف عليه حسن، ويبتدئ ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ أي للمؤمنين. وقال الفراء: ﴿ وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ تقديره: إما عذاب شديد وإما مغفرة، فلا يوقف على ﴿ شَدِيدٌ﴾. ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ هذا تأكيد ما سبق، أي تغر الكفار، فأما المؤمن فالدنيا له متاع بلاغ إلى الجنة. وقيل: العمل للحياة الدنيا متاع الغرور تزهيدا في العمل للدنيا، وترغيبا في العمل للآخرة.

قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي سارعوا بالأعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم. وقيل: سارعوا بالتوبة، لأنها تؤدي إلى المغفرة ؛ قاله الكلبي. وقيل: التكبيرة الأولى مع الإمام ؛ قاله مكحول. وقيل: الصف الأول. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ لو وصل بعضها ببعض. قال الحسن: يعني جميع السموات والأرضين مبسوطتان كل واحدة

(١، ٢) صحيحان : وقد سبق تخريجهما .

(٣) الدِّهقان : بكسر الدال وضمها ـ التاجر ،وقيل: الرئيس بالفارسية ،وهي لفظة معربة ـ اللسان« دهق» .

(٤) عند الآية (٢٤) .

(٥) عند الآية (٤٥) .

إلى صاحبتها (١). وقيل: يريد لرجل واحد أي لكل واحد جنة بهذه السعة. وقال ابن كيسان: عني به جنة واحدة من الجنات (٢). والعرض أقل من الطول، ومن عادة العرب أنها تعبر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله. قال:

كَأَنَّ بِلاَدَ اللَّهِ وَهْيَ عَرِيضَةٌ   على الْخَائف المطلوب كِفَّةُ حابِلِ

وقد مضى هذا كله في «آل عمران» (٣). وقال طارق بن شهاب: قال قوم من أهل الحيرة لعمر رضي الله عنه: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرأيتم الليل إذا ولى وجاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا: لقد نزعت بما في التوراة مثله. ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ شرط الإيمان لا غير، وفيه تقوية الرجاء. وقد قيل: شرط الإيمان هنا وزاد عليه في «آل عمران» فقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي أن الجنة لا تنال ولا تدخل إلا برحمة الله تعالى وفضله. وقد مضى هذا في «الأعراف» (٤) وغيرها. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ﴾ قال مقاتل: القحط وقلة النبات والثمار (٥). وقيل: الجوائح في الزرع. ﴿وَلا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ بالأوصاب والأسقام؛ قاله قتادة (٦). وقيل: إقامة الحدود؛ قاله ابن حيان (٧). وقيل: ضيق المعاش، وهذا معنى رواه ابن جريج (٨). ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾ يعني في اللوح المحفوظ. ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ الضمير في ﴿نَّبْرَأَهَا﴾ عائد على النفوس أو الأرض أو المصائب أو الجميع. وقال ابن عباس: من قبل أن يخلق المصيبة (٩). وقال سعيد بن جبير: من قبل أن يخلق الأرض والنفس (١٠). ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي خلق ذلك وحفظ جميعه ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هين. قال الربيع بن صالح: لما أخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت، فقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لما أرى بك ولما تذهب إليه. قال: فلا تبك فإنه كان في علم الله أن يكون، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ (١١) الآية. وقال ابن عباس: لما خلق الله القلم قال له

(١، ٢) كذا عند الشوكاني في فتح القدير (٧/ ١٥٧).
(٣) عند الآية (١٣٣).
(٤) عند الآية (٤٣).
(٥) فتح القدير (٧/ ١٥٧) للشوكاني.
(٦) صحيح إليه: الطبري (٢٧/ ٢٤١) في تفسيره.
(٧، ٨) فتح القدير (٧/ ١٥٧) للشوكاني.
(٩) منقطع: بين علي بن أبي طلحة وابن عباس: الطبري (٢٧/ ٢٤١) في تفسيره.
(١٠) كذا عند الماوردي في تفسيره (٤/ ٢٣٩).
(١١) السيوطي الدر المنثور (٦/ ٢٥٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد.

اكتب، فكتب ما هو كـائن إلى يوم القيامة(١). ولقد ترك لهـذه الآية جماعة من الفـضلاء الدواء في أمراضهم فلم يستـعملوه ثقة بربهم وتوكلا عليه، وقالوا: قـد علم الله أيام المرض وأيام الصحة، فلو حرص الخلق على تقليل ذلك أو زيادته ما قدروا، قال الله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ﴾. وقد قيل: إن هذه الآية تتصل بما قبل، وهو أن الله سبحانه هَوَّن عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل وجرح، وبين أن ما يخلفهم عن الجهاد من المحافظة على الأموال وما يقع فيـها من خسران، فالكل مكتـوب مقدر لا مدفع له، وإنما على المرء امتـثال الأمر، ثم أدبهم فقال هذا: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي حتى لا تحزنوا على مـا فاتكم من الرزق، وذلك أنهم إذا علموا أن الرزق قد فرغ منه لم ييأسوا على ما فاتهم منه. وعن ابن مسعود أن نبي الله ﷺ قال: «لا يجد أحدكم طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليـخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»(٢) ثم قرأ: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ أي: كي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيـا فإنه لم يقدر لكم ولو قدر لكم لم يفتكم ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي من الدنيا، قاله ابن عباس(٣). وقال سعيـد بن جبير: من العافية والخصب(٤). وروى عكرمة عن ابن عباس: ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا، وغنيمته شكرا(٥). والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتـعدى فيهما إلى ما لا يجوز، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي متكبر بما أوتي من الدنيا، فخور به على الناس. وقراءة العامة ﴿آتَاكُمْ﴾ بمد الألف أي أعطاكم من الدنيا. واختاره أبو حـاتم. وقرأ أبو العالية ونصر بن عاصم وأبو عمرو « أتاكم » بقصـر الألف واختاره أبو عبيد(٦). أي جاءكـم، وهـو معـادل لـ ﴿ فَاتَكُمْ﴾ ولهذا لم يقل: أفـاتكم. قال جعـفر بن محـمد الصادق: يا بـن آدم ما لك تأسى على مفـقود لا يرده عليك الفوت، أو تفرح بموجـود لا يتركه في يديك الموت. وقـيل لبرز جمهـر: أيها الحكيم! مالك لا تحـزن على ما فـات، ولا تفرح بما هو آت؟ قال: لأن الفـائت لا يتلافى بالعـبرة، والآتي لا يستدام بالحبـرة. وقال الفضيل بن عياض في هذا المعنى: الدنـيا مبيد ومفيـد، فما أباد فلا رجعة له، وما أفاد آذن بالرحيل. وقيل: المختال الذي ينظر إلى نفسه بعين الافتخار، والفخور: الذي ينظر إلى الناس بعين الاحتقـار، وكلاهما شرك خفي. والفخـور بمنزلة المُصَرَّاة تُشد أخلافُها لـيجتمع فيها اللبن، فيتوهم المشتري أن ذلك معتاد وليس كذلك، فكذلك الذي يرى من نفسه حالا وزينة وهو مع ذلك مدع فهو الفخور.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ أي لا يحب المختالين ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ فـ ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع خفض نعتا للمختال. وقيل: رفع بابتـداء أي الذين يبخلون فالله غني عنهم. قيل: أراد رؤساء اليهود الذين

---

(١) سبق تخريجه مرفوعًا وموقوفًا.

(٢) صحيح: صحيح الجامع للألباني ـ رحمه الله (٢١٥٠).

(٣، ٤) النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٣٩، ٢٤٠).

(٥) في إسناده مقال: في رواية سماك عن عكرمة اضطراب، كما عند الطبري (٢٧/ ٢٤٢) في تفسيره.

(٦) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٩).

يبخلون ببيان صفة محمد ﷺ التي في كتبهم، لئلا يؤمن به الناس فتذهب مآكلتهم[١] ؛ قاله السدي والكلبي. وقال سعيد بن جبير: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يعني بالعلم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ أي بألا يعلموا الناس شيئا[٢]. زيد بن أسلم: إنه البخل بأداء حق الله عز وجل[٣]. وقيل: إنه البخل بالصدقة والحقوق؛ قاله عامر بن عبد الله الأشعري[٤]. وقال طاوس: إنه البخل بما في يديه[٥]. وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى. وفرق أصحاب الخواطر بين البخل والسخاء بفرقين[٦]: أحدهما: أن البخيل الذي يلتذ بالإمساك. والسخي الذي يلتذ بالإعطاء. الثاني: أن البخيل الذي يعطي عند السؤال، والسخي الذي يعطي بغير سؤال. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ غني عنه. ويجوز أن يكون لما حث على الصدقة أعلمهم أن الذين يبخلون بها ويأمرون الناس بالبخل بها فإن الله غني عنهم. وقراءة العامة ﴿بِالْبُخْلِ﴾ بضم الباء وسكون الخاء. وقرأ أنس وعبيد بن عمير ويحيى بن يعمر ومجاهد وحميد وابن محيصن وحمزة والكسائي « بالبَخَلِ » بفتحتين وهي لغة الأنصار. وقرأ أبو العالية وابن السميقع « بالبَخْلِ» بفتح الباء وإسكان الخاء. وعن نصر بن عاصم «البُخُلِ» بضمتين[٧] وكلها لغات مشهورة. وقد تقدم الفرق بين البخل والشح في آخر « آل عمران»[٨].

وقرأ نافع وابن عامر « فإن اللهَ الغنيُّ الحميدُ »[٩] بغير ﴿هُوَ﴾. والباقون ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ على أن يكون فصلا. ويجوز أن يكون مبتدأ و﴿الْغَنِيُّ﴾ خبره والجملة خبر « إن ». ومن حذفها فالأحسن أن يكون فصلا، لأن حذف الفصل أسهل من حذف المبتدأ.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي بالمعجزات البينة والشرائع الظاهرة. وقيل: الإخلاص لله تعالى في العبادة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، بذلك دعت الرسل: نوح فمن دونه إلى محمد ﷺ. ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي الكتب، أي أوحينا إليهم خبر ما كان قبلهم ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ قال ابن زيد[١٠]: هو ما يوزن به ويتعامل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل في معاملاتهم. وقوله: ﴿بِالْقِسْطِ﴾ يدل على أنه أراد الميزان المعروف، وقال قوم: أراد به العدل. قال القشيري: وإذا حملناه على الميزان

(١ - ٦) هذه كلها منقولة عن الماوردي في النكت والعيون (٤/ ٢٣٩).

(٧) جاء في تقريب النشر(ص١٧٩) ما يفيد أن المتواتر من القراءات ما هو بفتح الباء، وضمها، وإسكان الخاء.

(٨) عند الآية (١٨٠).

(٩) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٩).

(١٠) حسن: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٤٤).

المعروف، فالمعنى أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان فهو من باب:

عَلَفْتُهَا تبناً وماءً بارداً

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧] ، ثم قال: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن: ٩] وقد مضى القول فيه. ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ روى عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد، والنار، والماء، والملح»[١]. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام: الحجر الأسود وكان أشد بياضا من الثلج، وعصا موسى وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع مع طول موسى، والحديد أنزل معه ثلاثة أشياء: السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة، ذكره الماوردي[٢]. وقال الثعلبي: قال ابن عباس: نزل آدم من الجنة ومعه من الحديد خمسة أشياء من آلة الحدادين: السندان، والكلبتان، والميقعة، والمطرقة، والإبرة[٣]. وحكاه القشيري قال: والميقعة ما يحدد به، يقال: وقعت الحديدة أقعها أي حددتها. وفي الصحاح: والميقعة: الموضع الذي يألفه البازي فيقع عليه، وخشبة القصار التي يدق عليها، والمطرقة والمسن الطويل. وروي أن الحديد أنزل في يوم الثلاثاء. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي لإهراق الدماء. ولذلك نهى عن الفصد والحجامة في يوم الثلاثاء؛ لأنه يوم جرى فيه الدم. روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «في يوم الثلاثاء ساعة لا يرقأ فيها الدم»[٤]. وقيل: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أي أنشأناه وخلقناه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦] وهذا قول الحسن[٥]، فيكون من الأرض غير منزل من السماء. وقال أهل المعاني: أي أخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني السلاح والكراع والجُنة. وقيل: أي فيه من خشية القتل خوف شديد. ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ قال مجاهد: يعني جُنة. وقيل: يعني انتفاع الناس بالمأعون من الحديد، مثل السكين والفأس والإبرة ونحوه. ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ أي أنزل الحديد ليعلم من ينصره. وقيل: هو عطف على قوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم الكتاب، وهذه الأشياء، ليتعامل الناس بالحق، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ وليرى الله من ينصر دينه وينصر ﴿رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال ابن عباس: ينصرونهم لا يكذبونهم[٦]، ويؤمنون بهم ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي وهم لا يرونهم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿قَوِيٌّ﴾ في أخذه ﴿عَزِيزٌ﴾ أي منيع غالب. وقد تقدم. وقيل: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بالإخلاص.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ فصل ما أجمل من إرسال الرسل بالكتب، وأخبر أنه

---

(١) ضعيف جدًا إن لم يكن موضوعًا: الديلمي (٦٥٦) في مسند الفردوس، عن ابن عمر، وانظره في: الكشاف (٤/ ١٦) للزمخشري لكنه صحيح المتن من غير هذا الطريق.

(٢) صحيح: الطبري (٢٧/ ٢٤٤) وإن كان شيخه ابن حميد متهم منكر.

(٣) هذا كسابقه لا يعتمد عليه، ومرويات الثعلبي ضعيفة، فكيف إذا انفرد من عالم الغيب بلا وحي؟

(٤) ضعيف جدًا: انفرد به بكار بن عبد العزيز بن أبي بكر وهو أبو بكرة الثقفي، ولا يتابع عليه، انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٤١٩)، وضعفاء العقيلي (١/ ١٥٠).

(٥) سبق عند الآية (٦) من سورة الزمر.

(٦) بنحوه عند البغوي في تفسيره (١٨/ ٤١).

أرسل نوحا وإبراهيم وجعل النبوة في نسلهما ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أي جعلنا بعض ذريتهما الأنبياء، وبعضهم أمما يتلون الكتب المنزلة من السماء: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. وقال ابن عباس(١): الكتاب الخط بالقلم ﴿فَمِنْهُم﴾ أي من ائتم بإبراهيم ونوح ﴿مُّهْتَدٍ﴾، وقيل: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾ أي من ذريتهما مهتدون. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ كافرون خارجون عن الطاعة.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾ أي أتبعنا ﴿عَلَىٰ آثَارِهِم﴾ أي على آثار الذرية. وقيل: على آثار نوح وإبراهيم ﴿بِرُسُلِنَا﴾ موسى وإلياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ فهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ﴾ وهو الكتاب المنزل عليه. وتقدم اشتقاقه في أول سورة «آل عمران» (٢).

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ على دينه يعني الحواريين وأتباعهم ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أي مودة فكان يواد بعضهم بعضا. وقيل: هذا إشارة إلى أنهم أمروا في الإنجيل بالصلح وترك إيذاء الناس وألان الله قلوبهم لذلك، بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه. والرأفة اللين، والرحمة الشفقة. وقيل: الرأفة تخفيف الكَلِّ، والرحمة تحمُّلُ الثقل. وقيل: الرأفة أشد الرحمة. وتم الكلام. ثم قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي من قبل أنفسهم. والأحسن أن تكون الرهبانية منصوبة بإضمار فعل، قال أبو علي: وابتدعوها رهبانية ابتدعوها. وقال الزجاج: أي ابتدعوها رهبانية، كما تقول: رأيت زيدا وعمرا كلمت. وقيل: إنه معطوف على الرأفة والرحمة، والمعنى على هذا أن الله تعالى أعطاهم إياها فغيروا وابتدعوا فيها. قال الماوردي(٣): وفيها قراءتان: إحداهما بفتح الراء وهي الخوف من الرهب. الثانية بضم الراء وهي منسوبة إلى الرهبان كالرضوانية من الرضوان، وذلك لأنهم حملوا أنفسهم على المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع، وذلك أن ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا. قال الضحاك: إن ملوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلاثمائة سنة، فأنكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم، فقال قوم بقوا بعدهم: نحن إذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم، فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع(٤). وقال قتادة: الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٧/ ١٦٠).

(٢) عند الآية (٣)

(٣) النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٤٠، ٢٤١).

(٤) مرسل ضعيف: الطبري في تفسيره (٣٣٧٧٣).

الصوامع(١). وفي خبر مرفوع: «هي لحوقهم بالبراري والجبال» (٢).

قوله تعالى: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي ما فرضناها عليهم ولا أمرناهم بها؛ قاله ابن زيد. ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ أي ما أمرناهم إلا بما يرضي الله، قاله ابن مسلم. وقال الزجاج: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ معناه لم نكتب عليهم شيئا البتة. ويكون: ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ بدلا من الهاء والألف في ﴿كَتَبْنَاهَا﴾ والمعنى: ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله. وقيل: ﴿إِلاَّ ابْتِغَاءَ﴾ الاستثناء منقطع، والتقدير ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله. ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي فما قاموا بها حق القيام. وهذا خصوص، لأن الذين لم يرعوها بعض القوم، وإنما تسببوا بالترهب إلى طلب الرياسة على الناس وأكل أموالهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وهذا في قوم أداهم الترهب إلى طلب الرياسة في آخر الأمر. وروى سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ قال: كانت ملوك بعد عيسى بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والإنجيل ويدعون إلى دين الله تعالى، فقال أناس لملكهم: لو قتلت هذه الطائفة. فقال المؤمنون: نحن نكفيكم أنفسنا. فطائفة قالت: ابنوا لنا أسطوانة ارفعونا فيها، وأعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم. وقالت طائفة: دعونا نهيم في الأرض ونسيح، ونشرب كما تشرب الوحوش في البرية، فإذا قدرتم علينا فاقتلونا. وطائفة قالت: ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا ترونا. وليس أحد من هؤلاء إلا وله حميم منهم ففعلوا، فمضى أولئك على منهاج عيسى، وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فقالوا: نسيح ونتعبد كما تعبد أولئك، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان من تقدم من الذين اقتدوا بهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ الآية(٣). يقول: ابتدعها هؤلاء الصالحون ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ المتأخرون ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يعني الذين ابتدعوها أولا ورعوها ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ يعني المتأخرين، فلما بعث الله محمدا ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل، جاؤوا من الكهوف والصوامع والغيران(٤) فآمنوا بمحمد ﷺ.

الثالثة: وهذه الآية دالة على أن كل محدثة بدعة، فينبغي لمن أبتدع خيرا أن يدوم عليه، ولا يعدل عنه إلى ضده فيدخل في الآية. وعن أبي أمامة الباهلي - واسمه صدي بن عجلان - قال: أحدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم، إنما كتب عليكم الصيام، فدوموا على القيام إذ فعلتموه ولا تتركوه، فإن ناسا من بني إسرائيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها، فعابهم الله بتركها فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (٥).

---

(١) عزاه السيوطي (٦/ ٢٦٠) في الدر المنثور لعبد بن حميد وابن المنذر وهو بسند صحيح عند الطبري (٣٣٧٦٦).

(٢) صحيح بمعناه: وسيأتي كاملاً في الحديث التالي.

(٣) صحيح: النسائي (٨/ ٢٣١، ٢٣٣) في المجتبى، وصححه الألباني، والطبري في تفسيره(٣٣٧٦٩).

(٤) غيران: ج غار وهو مقارف في الجبل كالسرب وهو كهف يصلح للسكن وله فم. اللسان «غير» مختصرًا.

(٥) ضعيف: الطبري (٣٣٧٧٧) بسند فيه زكريا بن أبي مريم، قال النسائي: ليس بالقوى، ورواه سعيد بن منصور، وابن مردويه، ومحمد بن نصر - كما في الدر (٦/ ٢٤٩) للسيوطي.

الرابعة : وفي الآية دليل على العزلـة عن الناس في الصوامع والبيـوت، وذلك مندوب إليه عند فساد الزمان وتغير الأصدقاء والإخـوان. وقد مضى بيان هذا في سورة «الكهف» مستوفى[(١)] والحمد لله. وفي« مسنـد أحمد بن حنبل » من حـديث أبي أمامـة الباهلي رضي الله عنه قـال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه فقال: مر رجل بغار فيه شيء من ماء، فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار، فيـقوته ما كان فيه من مـاء ويصيب ما حوله من البقل ويتـخلى عن الدنيا. قال: لو أني أتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبي الله! إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل، فحدثتني نفـسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا. قال: فقال النبي ﷺ: «إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة ،والذي نفس محمد بيده لغدوةٌ أو رَوْحَةٌ في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ،ولمقام أحدكم في الصف الأول خير من صلاته ستين سنة»[(٢)]. وروى الكوفـيون عن ابن مـسعود، قـال: قال لي رسـول الله ﷺ: «هل تدري أي الناس أعلم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس فيه وإن كان مقصرا في العمل وإن كان يزحف على اسـته هل تدري من أين اتخذ بنو إسرائيل الرهبانية؟ ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعـملون بمعاصي الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا: إن أفنونا فلم يبق للدِّين أحد يدعو إليه فتعالوا نفترق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الأمي الذي وعدنا عيـسى» يعنون محمدا ﷺ - «فتفرقـوا في غيران الجبـال وأحدثوا رهبانيـة فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كـفر» وتلا ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ الآية « أتدري ما رهبانية أمتي؟ الهجرة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع[(٣)] ، يا بن مسعود اختلف من كان قبلكم من اليهود على إحدى وسبعين فـرقة فنجا منهم فرقة وهلك سائرها ،واختلف من كان من قبلكم من النصارى على اثنتين وسبعين فرقـة فنجا منهم ثلاثة وهلك سائرها ، فرقة وازت الملوك وقاتلتـهم على دين الله ودين عيسـى - عليه السـلام - حتـى قُتلوا ،وفرقة لـم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك أقاموا بين ظهراني قومهم فدعوهم إلى دين اللـه ودين عيسى ابن مريم فأخذتهم الملوك وقتلتهم وقطعتـهم بالمناشيـر ،وفرقـة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك، ولا بأن يقـيمـوا بين ظهراني قـومهم فيدعوهم إلى دين الله ودين عيسى ابن مريم فساحوا في الجبال وترهبوا فيها وهي التي قال الله تعالى فيهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ - الآية - فمن آمن بي واتبعني وصدقني فقـد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الفاسقون»[(٤)] يعني الذي تهودوا وتنصروا. وقيل: هؤلاء الذيـن أدركوا محمدًا ﷺ فلم يؤمنوا به فأولئـك هم الفاسقون. وفي الآيـة تسلية للنبي ﷺ، أي إن الأولين أصروا على

---

(١) عند الآية (١٠).

(٢) رجالة ثقات : كذا قال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٧٩، ٢٨٠) وعزاه لأحمد والبزار .

(٣) التلاع : ج تلعـة وهي أرض مرتفعة غليظة يتـردد فيها السَّـيل ثم يندفع منها إلى تلعة أقل منهـا وهي مكرمة من المنابت . اللسان« تلع» .

(٤) ضعـيف وهو محتـمل للتحـسين : قال الهيـثمي في المجمع (١/ ١٦٢، ١٦٣) :« رواه الـطبراني في الأوسط والصغير، وفيه عقيل بن الجعد ، قال البخاري : منكر الحديث» ثم رواه (٧/ ٢٦٠، ٢٦١) وقال:«رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير بكير بن معروف، وثقه أحمد وغيره وفيه ضعف» .

الكفر أيضا فلا تعجب من أهل عصرك إن أصروا على الكفر. والله أعلم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي آمنوا بموسى وعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ أي مثلين من الأجر على إيمانكم بعيسى ومحمد ﷺ، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤] وقد تقدم القول فيه. والكفل الحظ والنصيب وقد مضى في «النساء»(١)، وهو في الأصل كساء يكتفل به الراكب فيحفظه من السقوط؛ قاله ابن جريج. ونحوه قال الأزهري، قال: اشتقاقه من الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه إذا ارتدفه لئلا يسقط، فتأويله يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة المعاصي كما يحفظ الكفلُ الراكبَ. وقال أبو موسى الأشعري: ﴿كِفْلَيْنِ﴾ ضعفين بلسان الحبشة. وعن ابن زيد: ﴿كِفْلَيْنِ﴾ أجر الدنيا والآخرة(٢). وقيل: لما نزلت: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤] افتخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فنزلت هذه الآية(٣).

وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن الحسنة إنما لها من الأجر مثل واحد، فقال: الحسنة اسم عام ينطلق على كل نوع من الإيمان، وينطلق على عمومه، فإذا انطلقت الحسنة على نوع واحد فليس له عليها من الثواب إلا مثل واحد. وإن انطلقت على حسنة تشتمل على نوعين كان الثواب عليها مثلين، بدليل هذه الآية فإنه قال: ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ والكفل النصيب كالمثل، فجعل لمن اتقى الله وآمن برسوله نصيبين: نصيبا لتقوى الله ونصيبا لإيمانه برسوله. فدل على أن الحسنة التي جُعل لها عشر هي التي جمعت عشرة أنواع من الحسنات، وهو الإيمان الذي جمع الله تعالى في صفته عشرة أنواع، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية بكمالها. فكانت هذه الأنواع العشرة التي هي ثوابها أمثالها فيكون لكل نوع منها مثل. وهذا تأويل فاسد، لخروجه عن عموم الظاهر في قوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] بما لا يحتمله تخصيص العموم، لأن ما جمع عشر حسنات فليس يجزى عن كل حسنة إلا بمثلها. وبطل أن يكون جزاء الحسنة عشر أمثالها والأخبار دالة عليه. وقد تقدم ذكرها. ولو كان كما ذكر لما كان بين الحسنة والسيئة فرق.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا﴾ أي بيانا وهدى، عن مجاهد. وقال ابن عباس: هو القرآن. وقيل: ضياء ﴿تَمْشُونَ بِهِ﴾ في الآخرة على الصراط، وفي القيامة إلى الجنة. وقيل: تمشون به في

(١) عند الآية (٨٥).

(٢) حسن: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٥٠).

(٣) مرسل: ذكره السيوطي في اللباب (ص٤٠٠)، والطبري بنحوه (٣٣٧٨٢) في تفسيره، عن سعيد بن جبير مرسلاً. ورواه الطبراني بسند فيه من لا يعرف كما في المجمع (٧/ ١٢١) للهيثمي موصولاً، عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

الناس تدعونهم إلى الإسلام فتكونون رؤساء في دين الإسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها. وذلك أنهم خافوا أن تزول رياستهم لو آمنوا بمحمد عليه السلام. وإنما كان يفوتهم أخذ رشوة يسيرة من الضعفة بتحريف أحكام الله، لا الرياسة الحقيقية في الدين. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي ليعلم، و« أن لا» صلة زائدة مؤكدة؛ قاله الأخفش. وقال الفراء: معناه لأن يعلم و«لا» صلة زائدة في كل كلام دخل عليه جحد. قال قتادة: حسد أهل الكتاب المسلمين فنزلت: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ أي لأن يعلم أهل الكتاب أنهم ﴿أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ وقال مجاهد: قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل. فلما خرج من العرب كفروا فنزلت: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ﴾ [1] أي ليعلم أهل الكتاب ﴿أَلاَّ يَقْدِرُونَ﴾ أي أنهم يقدرون، كقوله تعالى: ﴿أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾ [طه: ٨٩]. وعن الحسن: « ليلا يعلم أهل الكتاب » وروي ذلك عن ابن مجاهد. وروى قطرب بكسر اللام وإسكان الياء. وفتح لام الجر لغة معروفة. ووجه إسكان الياء أن همزة « أن » حذفت فصارت «لن» فأدغمت النون في اللام فصار «للا» فلما اجتمعت اللامات أبدلت الوسطى منها ياء، كما قالوا في أما: أيما. وكذلك القول في قراءة من قرأ «ليلا» بكسر اللام إلا أنه أبقى اللام على اللغة المشهورة فيها فهو أقوى من هذه الجهة. وعن ابن مسعود: « لكيلا يعلم » ، وعن حطان بن عبد الله « لأن يعلم». وعن عكرمة «ليعلم» وهو خلاف المرسوم. ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل: الإسلام. وقيل: الثواب. وقال الكلبي: من رزق الله. وقيل: نِعَمُ الله التي لا تحصى. ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ ليس بأيديهم فيصرفون النبوة عن محمد ﷺ إلى من يحبون. وقيل: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ أي هو له ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾.

وفي البخاري: حدثنا الحكم بن نافع، قال: حدثنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني سالم بن عبد الله، أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو قائم على المنبر: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أعطي أهلُ التوراة التوراةَ فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أعطي أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين. قال أهل التوراة: ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا! قال: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، فقال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء» في رواية: «فغضبت اليهود والنصارى وقالوا: ربنا...» الحديث. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [2].

تم تفسير سورة « الحديد» والحمد لله.

---

(١) مرسل: ذكره السيوطي في اللباب مرسلاً وعزاه لابن المنذر (ص ٤٠٠).

(٢) صحيح: البخاري (٥٥٧) في مواقيت الصلاة، والترمذي (٢٨٧١) في الأمثال، وأحمد في المسند (٢/ ٦، ١١١، ١١٢).